وقائع مؤتمر

الإمام الحسين الدولي الرابع عليه السلام

٢٢٩ / ٣٠٧٠٦٣
م ٤٩٨ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٤ : ٢٠٢٣: كربلاء).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي الرابع: القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة/ المؤتمر . - ط١. -
كربلاء: دار الوارث ،٢٠٢٣.
٨٢١ص. :٢٤سم
١. القرآن والمجتمع - مؤتمرات. / . العنوان.
م. و .
٣٦١٥ / ٢٠٢٣
المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٦١٥) لسنة ٢٠٢٣

الناشر: دار القرآن الكريم - العتبة الحسينية المقدسة
التصميم والاخراج الفني: قحطان عامر الطائي
الطبعة/ الأولى
سنة الطبع/ ١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣
المطبعة/ دار الوارث للطباعة والنشر

تمت ترجمة الملخصات في العتبة الحسينية المقدسة، مركز الاعلام الدولي،
ترجمة: أبا الحسن عباس

وقائع مؤتمر

الإمام الحسين عليه السلام الولي الرابع

المنعقد بعنوان

القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة

بالتعاون مع جامعة الزهراء عليها السلام للبنات في كربلاء المقدسة

للمدة من ١٥-١٧-٢٠٢٢م

الموافق ٨-١٠ شوال ١٤٤٣هـ

اللجنة المشرفة

أ. د. زينب عبد الحسن الملا السلطاني/ رئيس جامعة الزهراء عليها السلام للبنات

أ. د. نجاح فاهم العبيدي/ جامعة كربلاء

د. الشيخ خير الدِّين الهادي/ رئيس قسم دار القرآن الكريم

د. السيد مرتضى جمال الدِّين/ المعاون العلمي لرئيس قسم دار القرآن

اللجنة العميَّة

أ.د. ضرغام كرم كاظم الموسوي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة كربلاء

أ.د. خليل شكري هيَّاس/ رئيس قسم اللغة العربيَّة جامعة الموصل

أ.م.د. طلال فائق مجبل الكمالي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة الوارث

أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهدي/ الكليَّة التربويَّة المفتوحة مركز النجف الأشرف

أ.م.د. خالد محمود حمي/ جامعة الموصل

م. د. عماد طالب موسى/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

م. د. عمَّار حسن عبد الزَّهرة/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

د. باسم دخيل مراد العابدي/ كليَّة المعارف الإسلاميَّة

م. م. علي فليح علي الفتلاوي/ جامعة كربلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء (١١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة:

الحمد للهِ الذي لا تُدركه الشواهد، ولا تحويهِ المشَاهِد، ولا تراهُ النَّواظِر، ولا تحجُبُهُ السَّوَاتِر، الـدَّالِ على قدمهِ بحدوثِ خلقِهِ على وجـودِه، وبحدوثِ خلقهِ على وجودِه، وباشتباهِهم على أن لا شَبَه له، الذي صدق في مِيعادهِ، وارتفع عن ظُلمِ عِباده، وقامَ بالقِسطِ في خلقِهِ، وعَدَلَ عليهِم في حكمه، مستشهدًا بحدوثِ الأشياءِ على أزليته..

اللهمَّ اجعل شرائف صلواتِك، ونوامي بركاتِك، على محمَّدٍ عبدِك ورسولِك، الخاتِم لمَا سبق، والفاتِح لما انغلق، والمُعْلن الحقَّ بالحقِّ، والدَّافع جيشات الأباطيل، والدَّامغِ صولاتِ الأضاليل.

وصلِّ اللهمَّ على أهلِ بيته، شجرةِ النُّبوَّة، ومحطِّ الرِّسالة، ومختلفِ الملائكة، ومعادن العِلم، وينابيعِ الحُكم.

وبعد ...

فقد عمل قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة على رعاية كتاب الله تعالى بشتَّى الجوانب، وبذل الجهود الكبيرة من أجل توثيق الصِّلة بينه وبين المجتمع على اختلاف شرائحه، وكان نتيجة ذلك انبثاق مشاريع كثيرة يطول ذكرها، ومن تلك المشاريع إقامة المؤتمرات السنويَّة الدَّوليَّة؛ بغية تصدير المعرفة القرآنيَّة إلى المؤسَّسات العلميَّة والحوزويَّة والأكاديميَّة، ومن جملة المؤتمرات التي يرعاها قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدَّولي السنوي، وقد عُقِد في نسخته الرابعة بعنوان: (القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة) الموافق ١١/ ٥/ ٢٠٢٢ م.

وذلك لما لهذا الموضوع من أهميَّة قصوى في الحياة المعاصرة نتيجة ظهور آفاتٍ مجتمعيَّةٍ كثيرةٍ، فكان لزامًا أن تتصدَّى المؤسَّسات العلميَّة لوضع بعض المعالجات، وأهمُّ الأسس في هذا الجانب القرآن الكريم بوصفه العماد الأساس في تربية الإنسان وضمان الحياة الكريمة له، بعيدًا عن الشذوذ والآفات المجتمعيَّة، فكان القرآن الكريم خير معتمدٍ في مواجهة ما تعمل عليه الجهات العالميَّة المنحرفة في إشاعة السلبيات بين فئات المجتمع؛ إرضاءً لانحراف سلوكهم، أو بغية تحقيق مآرب مشبوهةٍ، أو منافع شخصيَّة، أو تحقيق هدفٍ شيطاني تسعى إليه القوى المهيمنة الظالمة في حربها لله تعالى وأوليائه، ومن هنا فإنَّهم بدأوا باستهداف القرآن الكريم حرقًا فيه وتمزيقًا له وبثًّا للشبهات في مضامينه؛ لمعرفتهم بقوَّة تأثيره في مواجهة انحرافهم ومآربهم، ولهذا فإنَّ علينا أن نبذل كلَّ ما بالوسع من أجل إيصال رسالة القرآن الكريم إلى كلِّ أرجاء المعمورة؛ حتَّى يعمَّ نوره كلَّ موطنٍ فيها وتكون الحجَّة البالغة لله تعالى، وعلى هذا الأساس كان انطلاق دار القرآن الكريم في عملها المعرفي من جعل القرآن الكريم والعترة الطاهرة أساسًا في تبنِّي المشاريع الإصلاحيَّة، إيمانًا بحديث الثقلين الذي جعل الرسول صلى الله عليه وآله القرآن وأهل بيته العاصمين من الضَّلال، ومن هنا عوَّل قسم دار القرآن الكريم في هذا المؤتمر على مراقبة بعض الأطر الإصلاحيَّة في القرآن الكريم على وفق ستِّة محاورٍ هي:

١. أنماط العلاقات الاجتماعيَّة على وفق المنظور القرآني.

٢. المجتمع المثالي في ضوء النَّصِّ القرآني.

٣. تحديات الحياة اليوميَّة وصورة معالجتها قرآنيًّا.

٤. القرآن والتغيرات الثقافيَّة.

٥. تقييم المشكلات الاجتماعيَّة المعاصرة من المنظور القرآني.

٦. الإصلاح الاجتماعي عند الإمام الحسين عليه السلام من المنظور القرآني.

وقد ورد لقسم دار القرآن الكريم بإزاء هذه المحاور مجموعة من البحوث تربو على الخمسين بحثًا من دول مختلفة، ناقشت مجموعة من القضايا المجتمعيَّة المعاصرة مع وضع بعض الحلول التي تلائم تلك القضايا من القرآن الكريم، وبعد عرضها على اللجان العلميَّة ترشَّح عدد منها وعمد قسم دار القرآن الكريم أن يطبعها في هذه الوقائع؛ تلبيةً للحاجة المعرفيَّة، وإسهامًا منه في رفد المكتبة الإسلاميَّة بالدِّراسات والبحوث الرصينة المعتمدة على المنهج العلمي في متابعة الأفكار ورصدها.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على محمَّدٍ وآله الطاهرين

أنماط العلاقات الاجتماعية على وفق المنظور القرآني

م. د صالح مهدي جابر الظالمي

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانيَّة

الملخص:

القرآن الكريم مصدر الحياة المتكاملة لبني البشر بكلِّ نواحيه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمعرفية وغيرها، وما يشغلنا هنا هو العلاقات الاجتماعية، فالقرآن الكريم لا ينفصل فيه جزء عن جزء من دون وضع الحلول الناجعة لغرض بناء منهج اجتماعي صالح لكلَّ زمانٍ ومكان، ولذا نجده قد وضَّح لنا في نصوصه عددًا كبيرًا من العلاقات الاجتماعية واضعًا لها قوانين ضابطة تعالج فيها حالات واتجاهات بعينها، فالمتتبع للمسار التاريخي والقصصي للقرآن الكريم يجد تعقيبات كثيرة أولى لها أهميَّة قصوى تخص المجتمع والعلاقات داخلهُ؛ ابتداءً من الفرد والأسرة حتى المجتمع الكبير في الخارج، فهو يؤكَّد على أنَّ صلاح الفرد هو صلاح للمجتمع بأسره، فالقرآن الكريم يحثُ على التحلي بالتربية القرآنية المحمدية وبالأخلاق الحميدة وبالعلوم والمعارف الدينية؛ لأنها عماد بناء المجتمع المتعلم والمثقف دينيًا، الذي يفهم ما يحيط به من دون تعصب وجهل ومغالطة، فالنظام الاجتماعي القرآني يقرُّ بوجود قواعد واضحة لمحاربة كل أنواع الظلم والجور والفواحش داخل المجتمع، فالحاكم الظالم يؤثر سلبًا على الحياة الاجتماعية والأسرية للأفراد، والفرد الطالح يؤثر سلبًا على البناء التكويني للأسرة لكونه نواة المجتمع، فإن صلح الفرد صلحت الأسرة وإن عصى وعمل الفواحش فقد هدم البناء الأسري الصحيح، فالقرآن الكريم يرسم الحياة الكريمة للأفراد، حياة الفضيلة النقية الخالصة بعيدًا عن كلَّ ما ينغص الحياة الإنسانية من مغريات وشهوات دنيوية مؤقتة وجعل المعيار الحقيقي للتفاضل والتكامل هو التقوى، ولذا نجده تعالى يقول: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ سورة الحجرات:١٣، فكرامة الفرد ومكانته عند الله تعالى ترتبط بمدى التقوى التي يحملها الفرد ويطبقها على أرض الواقع، وهذا ما ينعكس إيجابًا على جميع العلاقات الاجتماعية، كعلاقة الزوج بزوجته وأبنائه وما يحيط به من مجتمع.

الكلمات المفتاحيَّة: أنماط العلاقات الاجتماعية، المنظور القرآني

Summary:

The Holy Quran is the source of Human beings' integral life in all aspects (social، political، economic، cultural، and others)، and what we are concerned about here is social relations، in which the Holy Qur'an is inseparable in all of its parts without using effective solutions of building a social approach fit for all lifetimes (Adverbs of times and places)، so we find that Quranic texts have shown us a lot of social relations، putting rules that address specific situations. The historical and storytelling trackers of the Holy Quran find many comments that have the utmost importance to society and its relations within; Starting with a single human being and a family، to the whole of society، it affirms that society's status depends on the people within، The Holy Qur'an urges for the prophet Mohammed Quranic-education، good morals، science، and religious knowledge; Because it is the mainstay of building a religiously well-educated and cultured society، which understands things without any fanaticism، ignorance، and fallacy، The Social Qur'anic admits that there are clear rules for facing all kinds of injustice، and abominations within society Because the unjust ruler adversely affects the social and family life of the people in the Society and the wrong person who adversely effects on the society's formative structure as he the society's nucleus.

So if the person in any society becomes good، the whole family shall be good either، and if they did the opposite that will break the right structure for the family. The Holy Quran draws people's decent life، the life of truly Pure-virtue، abandoning all kinds of what makes life bad-black of temporal abominations and Lusts، and makes piety the true criterion of perfectionism، as Allah says:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

"Indeed، the noblest of you in the sight of Allah is the most righteous of you (Al-Hujjurat 13)". The dignity and importance of any Human being in Allah's sight are linked with their piety in real life، which is positively reflected in all social relations in society.

مقدمة:

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الحمد مفتاحًا لذكرهِ، وخلق الأشياء ناطقة بحمده وشكره، والصلاة والسلام على نبيه محمد المشتق اسمهُ من اسمِه المحمود، وعلى آله الطاهرين أولي المكارم والجود، وعلى أصحابه الكرام (المنتجبين).

أمَّا بعد:

فالمعروف عن الإنسان أنَّه يرغب التجمع بفطرته، ورغبته هذه جعلته يبحث عن العلاقات مع محيطه، فالله تعالى ميَّزه عن خلقه فوهبه العقل والإدراك؛ ليتواصل مع غيره على وفق القواعد والتشريعات الإلهية المتمثلة بالديانات السماوية التي كرمته ورفعته درجات، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ سورة الإسراء ٧٠، لقد جعل تعالى كلّ شيء مسخر لبني البشر، ولعل التفكير بخلق الله تعالى من أرض وسماء وبحار وأشجار وغيرها شواهد حيَّة على انطباقها مع تطلعات ورغبات وحاجات الإنسان، وبما أنَّهُ لا يقوى على العيش لوحده، نزع إلى تكوين أسرة لحفظ النسل والقيم والأخلاق والعمل على الاهتمام بها، فالأسرة هذه هي أول المجتمع، ومن هذا التجمع تتفاعل العلاقات الأسرية والاجتماعية لتخلق بيئة اجتماعية متنوعة، وهذا التنوع الاجتماعي يأتي نتيجة اتساع نطاق المجتمع وتعدده، وبهذا يحق القول بأنّ العلاقات العامة أو الخاصة داخل المجتمع وجدت مع وجود كيان الإنسان، وقد نوَّه القرآن الكريم على جملة من العلاقات التي تربط المجتمع الصالح: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٧]، خطاب يحثُّ فيه تعالى على ضرورة الإيمان به أولًا

وتشريعاته التي شرعها من طريق الأنبياء والرسل، وطبيعة العلاقة ما بين الفرد والآخر التي تبنى على أساس المساعدة والمودة وغيرها.

إنَّ الكمال والشمولية والعظة والإرشاد التي عليها الدين الإسلامي تجعله الدستور والمشرّع لطبيعة العلاقات ما بين الإنسان ونفسهُ، والإنسان وغيره داخل الأسرة وخارجها، فالفرد هو نواة المجتمع وقوته تُتحدد على وفق إيمانه القاطع بالتشريعات الإسلامية الصحيحة، وبما أنّه هو نواة المجتمع فالواجب عليه تقوية شخصيتهُ ليقوى المجتمع من طريقه؛ لأنّ ضعف الفرد يعني ضعف المجتمع وتفككه وانحلاله، فالإسلام يدفع باتجاه تخليص المجتمع من الآفات والأمراض المجتمعية المقيتة وإحلالها بحسن العشرة بين الأفراد والاستقامة وسمو الأخلاق والمساعدة وحب الآخر كما تحب لنفسك وغيرها، وهي أدوات لبناء المجتمع وتزيد من ترابطه، وتعد من الواجبات على الفرد إذ ما أراد أن يهنئ بعيشته وصلاحها في دار الدنيا، لأنّ غرس المبادئ والتشريعات الإلهيَّة والفضائل الحميدة في الفرد وهو النواة، سينعكس إيجابًا على الأسرة والمجتمع، وهي بلا شك سبل قويمة موصلةً إلى رضا الله سبحانه وتعالى.

المبحث الأول- العلاقات الأسرية: الزوج والزوجة - الأبناء - الإخوة

توطئة:

للعلاقات الأسرية والاجتماعية في القرآن الكريم أهميَّة كبيرة؛ لأنَّ الأسرة هي المسؤولة مسؤولية مباشرة على بناء المجتمع، ولذا اشتمل في نصوصهِ على عدد كبير من التشريعات والقوانين الإلهية الحاكمة والضابطة لشؤون الإنسان بوصفه فردًا وجماعات، فقد نظم القرآن الكريم الحياة الزوجية بشكل يتناسب مع قيمة الزوج والزوجة ومكانتهما داخل التجمع البشري، وكذلك طبيعة العلاقة ما بين الأزواج وأبنائهم، والعلاقة ما بين الإنسان والآخر من بني جنسه على مبدأ الأخوة الذي أقره القرآن، وهذه الأنماط الاجتماعية وضوابطها كان الهدف منها هو البناء الصحيح للمجتمع على وفق شمولية الدين الإسلامي وعالميتهُ لجميع نواحي الحياة الصغيرة منها والكبيرة، وهذا ما سنتوقف عنده على وفق ما طرح من أنماط اجتماعية داخل البحث، كالعلاقات داخل الأسرة والمتمثلة بعلاقة الزوج والزوجة والأبناء وعلاقات خارج إطار الأسرة والمتمثلة بعلاقة الإخوة، وبحسب ما موضح في أدناه:

أولًا- العلاقات الزوجية:

الزواج من الآيات الإلهيَّة العظيمة الدالة على عظمته وبديع خلقه، وهي من الضرورات الكفيلة بحفظ النسل البشري واستمراره، لذلك نجده تعالى يعدها من الروابط الحصينة المنيعة للاستمرار ولحماية الفرد والمجتمع من الانزلاق نحو هاوية الشهوات والنزوات المحرمة، التي تفسد الأخلاق، فمن عجائب خلقه بعد اقتران الزوج بزوجته يصور الجنين في رحم أمه، فيقول تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾[1]، هذه من آياته العجيبة التي دلنا عليها تعالى بخلقه وصورها بالكيفية التي أرادها، فعلاقة الزواج التي تحدث بتلاقي الزوجين لتكوين الأسرة هي الامتداد الطبيعي

(١) سورة آل عمران: آية ٦.

لوجود واستمرار الحياة التي أعقبها بقوانين طبيعية وتشريعات إلهيَّة حاكمة لاستمرار النسل البشري، ولبناء مجتمع صالح يسوده العدل والاستقرار.

وللحفاظ على العلاقة الزوجية يتطلب خطوات عملية فعلية يتبادلها الطرفان لأجل استمرار الحياة الزوجية المتماسكة، خطوات تتسم بالحب والاهتمام والرعاية، والتخلي عن الخلافات قدر الإمكان ومنح الفرصة لكل منهما للتعبير عما بداخلهما بكل حب واحترام، فرابطة المودة والمحبة والتفاهم هي الكفيلة لاستمرار هذه السنة الإلهيَّة لأمد أطول، ولقد جاء في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْها فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا**﴾[١]، أي أن الله تعالى خلق معشر بني أدم (الذكر والأنثى) من نفس واحدة ومن نوع واحد ليسكن الزوج إلى زوجته التي ترزق منه حملًا خفيًا[٢]، وجاء في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾[٣] فالعلاقة القائمة على الأسس الصحيحة التي رسمها القرآن الكريم هي الكفيلة باستمرارها بشكلها الأمثل حتى يأذن الله تعالى.

فالزوج الصالح الرحيم بأهله الخلوق مع زوجته والعطوف عليها، لا فظا غليظا معها لا يغتنم ضعفها أمامه وحاجتها إليه يغفر لها هفوتها، سيكون اللبنة الأولى لبناء أسرة ومجتمع متماسك[٤]، ففي القرآن الكريم يحث الله تعالى على المعاشرة الطيبة المبنية على المعروف، يقول تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بالمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فعسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[٥]، فهذا جزء من إكرام المرأة وتعظيم دورها، وكذلك الزوجة الصالحة عليها واجبات مماثلة تبادلها إياه من دون كلل أو ملل، وهذا ما أشار اليه تعالى

(١) سورة الأعراف: اية ١٨٩.
(٢) الطباطبائي، الميزان، ج ٨، ص ٣٧٤.
(٣) سورة الروم: اية ٢١.
(٤) ينظر: الصدر، محمد، الأسرة في الإسلام، دار البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، ص٢٩-ص٣٠.
(٥) سورة النساء: آية ١٩.

بقوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١] فمثلما على الرجال واجبات تجاه أزواجهم، على الزوجات أيضًا واجب تجاه أزواجهنَّ، والمعيار الذي يجب أن يتصف به الفرد ذكرًا كان أم أنثى هو الالتزام بالعمل الصالح؛ لأنَّ هذا العمل يؤدِّي بالذكر والأنثى إلى الحياة الكريمة والطيبة والجزاء الحسن في الدار الدنيا والآخرة، فيقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢]، فالحياة الطيبة والجزاء الحسن الذي وعد به الله تعالى ينعكس إيجابًا على حياة الفرد والأسرة والمجتمع، كيف إذا كان هذا الأمر يتحقق داخل الأسرة الواحدة؟ كيف إذا تحقق بين الزوج والزوجة؟ لاشكَّ أنَّه ينتج أسرةً صالحةً ومجتمعًا صالحًا مؤمنًا بالله وتعاليمه وتشريعاته.

إنَّ القرآن الكريم يدعو إلى الاهتمام بالفرد والأسرة لإنتاج وضع مجتمعي أفضل، ولذا نجده قد وضع خطًا بيانيًا يوضح فيه آليات التعامل بين الزوج وزوجته، وهذه الآليات هي الكفيلة بشكل قاطع بتنشئة أسرة تتمتع بنظام محكم لا يشوبه أي شائبة، فالمجتمع الذي أراده القرآن الكريم هو المجتمع المتماسك المتراص وهذا لا يتحقق من دون التركيز على اللبنة الأولى وهي لبنة الأسرة المتمثلة بالزوج والزوجة، إنَّ ما نجده في يومنا المعاصر وفي بعض الحالات الشاذة، أسر مفككة ومنهارة فما هي إلا دلائل واقعية لابتعاد الأسرة عن ضرورة من ضرورات التعامل ما بين الزوج وزوجته، إنَّ القرآن الكريم يُشير في نصوصه المقدسة إلى ضرورة الاختيار النوعي لشريكة الحياة أو لشريك الحياة، المبني على الإيمان بشرع الله تعالى، ومعيار ذلك هو التقوى والصلاح، كذلك الاحترام المتبادل بين الطرفين، وهذا ما نفقدهُ اليوم عند الإقبال على الزواج، وهو السبب الرئيس لتفكك الأسرة وانهيارها.

(١) سورة البقرة: آية ٢٨٨.
(٢) سورة النحل: آية ٩٧.

ثانيًا- علاقة الآباء بالأبناء:

أشار القرآن الكريم إلى بداية التكوين الأسري في قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[1] ففي الآية مضامين التكوين الأولي للأسرة، القائمة على أساس التقوى والإيمان بالله تعالى، وهو خطاب موجه للنفوس المتحدة في الحقيقة الإنسانية من دون أي اختلاف فيما بين الرجال منهم والنساء والصغار والكبار، فالله شرع الطرق الواضحة لهداية الناس وتمام سعادتهم على وفق الأحكام والقوانين الإلهيَّة التي ألهمها إيَّاهم تعالى للناس، لتسهيل طريق حياتهم وحفظ وجودهم وبقائهم[2]، وفي مواضع أُخرى من القرآن الكريم نجده سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين الذين التزموا بشرع الله، وتبعهم أبناؤهم بتأثير وحثَّ من الآباء، فيقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾[3]، فالأبناء أمانة في أعناق آبائهم ينبغي أن يصونوها وألاَّ يفرطوا في أدائها رعايةً وإرشادًا وتوجيهًا[4]، فتعد هذه العلاقة أقوى رابطة بعد حقه سبحانه مباشرة، وهي كما تقوم على العاطفة تقوم أيضًا على الواجب الكبير، فبرُّ الوالدين من أوجب الواجبات على المسلم، فلا يقدم بعد حق الله تعالى أحدًا على والديه أبدًا، وإذا لم يرع هذه الصلة الوثيقة فقد يخلق الله له أولادًا يعقونه[5]، إنَّ تعزيز المودة والمحبة تجاه

(١) سورة النساء: اية ١

(٢) ينظر: الطباطبائي، الميزان، ج٤، ص ١٣٤-١٣٥.

(٣) سورة الطور: اية ٢١.

(٤) ينظر: عُكاشة، رائد جميل، وآخرون، الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المُعاصرة، دار الفتح للدراسات والنشر، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م، ص٥٧ - ص٥٩.

(٥) ينظر: الجلالي، عبد الله الحمد، العلاقات الاجتماعية في القرآن، دار السلام للنشر والتوزيع، ط١، الرياض، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص٢٩.

الأبناء والشعور بالمسؤولية التي أكدَّها الإسلام ضمن دوائر عدة، أهمها دائرة مسؤولية الأهل عن أبنائهم، ومن ناحية أخرى تزداد أهمية هذا الحكم تربويًا في حال افتراق الأم والأب عن حياتهم الزوجية، إذ يتأثر الطفل في حالة الإنفصال هذه فيؤثر في تكوينه النفسي والاجتماعي، فراعى الإسلام ذلك وأوجب ضرورة حضانته مراعاة للفطرة البشرية والتكوين الجيلي للإنسان السوي، إذ إنَّ الطفل الصغير والمجنون والمعتوه يحتاجون إلى صبر ورعاية واسعة وشفقة محيطة في جميع شؤون حياته[١].

الأُسرة مُلزمة بتوفير الجو المناسب لأبنائها من طريق زرع الالتزام الديني والتقوى والأخلاق الحسنة؛ لأنَّ وجود الإنسان في الحياة يُبتنى على هذه الأسس الرصينة بحثهم على ترك الموبقات والمحرمات، يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾[٢] والمقصود بقوله تعالى: هو أنَّ الإنسان المسلم ملزم بحماية نفسه وأهله والأقرب فالأقرب من الخوض بما حرَّم الله، وأن يكون مسلكهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتثال لطاعة الله تعالى[٣]، وهذا ما أكَّد عليه أهل البيت عليهم السلام، إذ قال أمير المؤمنين علي لابنه الحسن عليهما السلام في وصيته له: «أوصيك بتقوى الله أي بنيّ ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره... أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزّهادة وقوة باليقين ونوره بالحكمة»[٤] وهذا هو ديدن الأئمة عليهم السلام، وهي شواهد شاخصة فيها الدروس والعبر نتعلم منها بناء أسرةٍ متكاملةٍ مؤمنةٍ إيمان حقيقي بالله تعالى وبتشريعاته، وفضلًا عن ذلك على الآباء إشباع حاجات الأبناء النفسية من طريق جعلهم يشعرون بأنَّهم محبوبون ولهم مكانه كبيرة داخل الوسط العائلي، وزرع الثقة

(١) ينظر: نصيرات، رائدة خالد، وآخرون، المضامين التربوية لأحكام الحضانة في الفقه الإسلامي وقانون الأحوال الشخصية الأردني، دراسات: علوم الشريعة والقانون، مج ٤٦، ع١، ٢٠١٩، ص٥٤٣.

(٢) سورة التحريم: اية ٦.

(٣) الطوسي،التبيان،ج١٠، ص ٥٠.

(٤) الصالح، صبحي نهج البلاغة، ٣١.

بالنفس؛ لأنَّها تؤثر على نفسية الأبناء، بمعنى عندما تكون علاقة الأم والأب متماسكة ويسودها الحُب والاحترام هذا يعني أنَّ المحيط الأسري بأجمعه سيشعر بالأمن والأمان، وهذا ينعكس إيجابًا أيضًا على الأشخاص المحيطين به من خارج الأسرة، ولذا سيتم بناء القاعدة الأساسية وهي الأسرة على أسس متينة تسهم ببناء الحلقة الأقرب والأوسع وهو المجتمع وهكذا.

إنَّ التركيز الكثير على الأسرة في القرآن الكريم جاء بناءً على أنَّها تُمثل البيئة التي يكتسب فيها الأبناء قيمًا دينية وأخلاقية وتتشكل معها المعايير الأولى للعادات والسلوكيات الأسرية، كذلك ترتكز على مهمة الأسرة بصورة رئيسة في القيام بالتنشئة الاجتماعية التي تعد الأبناء نواة المجتمع المتكامل دينًا وأخلاقًا وقيمًا وسلوكًا.

بعد أن وضع القرآن الكريم القوانين الحاكمة فيما بين الأزواج انتقل إلى الآليات الأخرى التي يتوجب أن تكون حاكمة داخل الأسرة، فدعوة القرآن الكريم للفرد إلى ضرورة أن يقي نفسه من الشبهات والمفاسد، ومن ثمَّ تطبيق ذلك على أهله وزوجته وأبنائه وهي دعوة صريحة لتطبيق شرع الله تعالى، لغرض الحفاظ على النظام الطبيعي والفطري داخل الأسرة؛ لتكون نواة صالحة متدينة.

ثالثًا- علاقة الإخوة في الإسلام:

يحثُّ القرآن الكريم في آياته على ضرورة التحلّي بالمحبة والاحترام فيما بين بني البشر، وهو شعور فطري يولد في نفس الإنسان لغرض الابتعاد عن كلَّ المظاهر المسببة للتناحر والفرقة، يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[1]، وهذا هو القانون الكلي لكلَّ زمانٍ ومكانٍ الذي تحدث عنه القرآن، فهو يدفع بجميع المؤمنين والمسلمين بضرورة أن

(١) سورة الحجرات: اية ١٠.

يتصالحوا فيما بينهم إن وقع النزاع للإلغاء الخصومة والتناحر[١]، إن تجاوز الخصومات والدفع نحو الأخوة التي رسمها القرآن الكريم يعني خلق أسرة متماسكة وبيئة صالحة وخصبة، وهذا هو مطلب الحياة الاجتماعية الصحيحة والسليمة، يقول تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾[٢]، لقد جمع الإسلام القلوب بعد أن كانت مختلفة ومتناحرة قبله، فأنعم عليهم بالأمن والصفاء وطهارة القلوب والأعمال[٣]، وهذه هي نعمة الإسلام التي سعى من أجلها لبثها بين بني البشر، ففيها المجالسة الحسنة والكلام الطيب والسريرة النقية والطمأنينة والمعاشرة الرحبة، وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: « تواصلوا وتباروا وتراحموا وكونوا إخوة بررة كما أمركم الله عز وجل»[٤]، فالإخوة مرآة يرى فيها الإنسان عيوبه ومآثره فلو فات الأمر ولم يكترث له لعمَّ الفساد وازداد الشر وتقلص الخير ونمت الشُبهات واستحكمت الشهوات والنزوات، فالتواصل والتراحم والنصيحة مبدأ من مبادئ حفظ الإنسان لنفسه وغيره.

فتعد علاقة الإخوة من أقدس العلاقات الاجتماعية؛ لأنَّها تسهم ببناء أسرة ومجتمع متماسك شريطة أن لا يكون لعامل المنفعة والمصلحة الشخصية أي دور يذكر، فمراحل الحياة ومحطاتها المتعددة عندما يكون الهدف منها ساميًا أي تطبيقًا لشرع الله والتقرب منه سبحانه وتعالى، واحترام إنسانية الإنسان وكرامته، والتي أشار لها تعالى بقوله: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾[٥] لا شكَّ أنَّ هذه القواعد والتشريعات الإلهيّة لو طبقت بشكلها الصحيح ستكون من العوامل القوية والمؤثرة في بناء مجتمع متماسك، فالروابط

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٦، ص ٥٣٦.
(٢) سورة ال عمران: اية ١٠٣.
(٣) الطباطبائي، الميزان، ج٥، ص ٢٣١.
(٤) الكليني، الكافي، ج٢، ص ١٧٥.
(٥) سورة الإسراء: آية ٧٠.

المتينة بين الأفراد والجماعات هي من يبحث عنها المجتمع الحقيقي.

إنَّ الألفة التي أشار إليها القرآن الكريم ويدعوا لها هي دلائل ايمانية ودلائل سلوكية يوجب على الانسان اتباعها وجعلها ضمن منهاج علاقته مع الاخرين، تسهم ببناء العادات الصالحة والأخلاق الفاضلة وتهذيب النفس وتشذيب العلاقات، يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ**﴾[1]. إنَّ اتباع أمر الله والأخذ بدينه يمنح الإنسان قوة باتجاه فعل الخير واجتناب فعل الشر، وهذا يخلق داخل الإنسان روح المودة والتعاون بين أفراد المجتمع مما يشكل مجتمعًا متصارحًا متفاهمًا يسوده الحب والاحترام.

إنَّ القرآن الكريم جعل الفرد والأسرة والتعامل فيما بينهم من العناصر الأساسية للتكوين الاجتماعي، ولذا حثَّ كثيرًا على إدراك هذه الأهمية لهذا التكوين، فالله تعالى يضفي السكينة على القلوب، وهي دافعة نحو الإيمان وزيادته، فيقول تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ**﴾[2]، فهي دعوة صريحة من القرآن الكريم لكلِّ بني البشر بضرورة أن تسود علاقة المحبة والوئام والتسامح فيما بين الأفراد؛ لتجاوز كل المخاطر التي تحصل وقد تؤدي إلى هدم المجتمع وتفككه، فالإيمان بالله وبأحكامه ووصاياه لا شكَّ ولا ريب أنَّها قواعد متينة لبناء المجتمع المتماسك، فتطبيق السنن الإلهيَّة ومن ضمنها الالتزام بمبدأ الإخوة الذي أكد عليه تعالى، ستخلق مجتمعات غايتها الحفاظ على النسيج الاجتماعي، فالالتزام بالإسلام روحًا وعقيدة ومنهجًا وأخلاقًا وسلوكًا وتعاملًا وغيره سيخلق أفضل التجمعات البشرية، فالمسلمون بعين الإسلام كلهم أسرة واحدة.

يتضحُ ممَّا تقدم أنَّ اللبنة الأساس لبناء المجتمع يبدأ مساره من الاختيار الأول

(١) سورة الرعد: آية ٢١.
(٢) سورة الفتح: آية ٤.

للشريك، وهذا ما صرح به القرآن الكريم في آياته التي وضعت شاهدًا على طول المبحث، فضلًا عن الرابطة التي تربط الآباء بأبنائهم وبالعكس، ومفاهيم أخرى وردت، ما يُلحظ في وقتنا المعاصر أنَّ بعض هذه الصلات والروابط قد تغيرت وخُرقت على وفق مفاهيم جديدة لم تألفها الأسر سلفًا بهذا الانتشار المروع، فلم يعد الاختيار ولا العلاقة داخل الأسرة تنسجم مع مسؤولية البناء الأسري الصحيح، فمشاغل الناس وإهمالهم وتقاعسهم لأسرهم والثورة التكنلوجية المتسارعة التطور والحروب والسياسات الاقتصادية الفاشلة والجهل؛ أصبحت عبئًا ثقيلًا على كثير من العوائل، هذه الأسباب برَّزت العديد من المشاكل إلى السطح وبشكل لافت، فالطلاق والمخدرات والقتل والسرقات والعدائية وعدم تقبل الآخر نتيجة حتمية للتفكك الأسري الحاصل، وحلّ هذه المشاكل قطعًا لن يكون بتلك السهولة التي نتصورها، لكن يمكن تجاوز العديد منها من طريق الرجوع لأسس التي وضعها القرآن الكريم التي وردت ضمن ثنايا المبحث الأول وهي الكفيلة بتجاوز جُلّها.

المبحث الثاني: مقومات العلاقات الاجتماعية: الدين – التربية – العمل

توطئة:

لا شكَّ في أنَّ القرآن الكريم عرض كثيرًا من أنماط العلاقات الاجتماعية في نصوصه المقدسة، وهذه الأنماط فيها ما هو حسن وما هو قبيح، فالأنماط القبيحة حذر منها، لأنَّها أداة لهدم الأسرة والمجتمع والفرد، وهي أنماط منبوذة، أما مقومات الأنماط الحسنة فهي السُبل المثلى لبناء مجتمع ملتزم يسوده التدين والاستقرار والتعامل الحسن، وهنا نود أنْ نركز على ما يُنمي ويبني المجتمعات، فالمجتمع المتدين لا شكَّ في أنّه الغاية التي أرادها الله تعالى من خلق الإنسان؛ إذ يقول تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ**

وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، فالإنسان العابد الملتزم بدينه قطعًا سيُخلق منه المجتمع الأكثر تطبيقًا لشرع الله وقوانينه، فإنسان ملتزم ومجتمع ملتزم سينتج الكمال الذي ينشده بني البشر، فالمجتمع المتعلم والمجتمع العامل على وفق المبادئ التطبيقية الصحيحة التي حددها تعالى، ستنعكس إيجابًا على التجمعات الأكثر عددًا من الناس، فلو ابتدأنا مع الفرد ومن ثم الأسرة ومن ثمَّ القرية والمدينة والدولة وهكذا صعودًا سيتحقق العدل والمساواة والصدق، ولتخلصنا من الظلم والاضطهاد والكذب والنفاق في المجتمعات التي لا تؤمن بالله وشرعه، وهذا ما سنتطرق له تباعًا في هذا المبحث.

أولًا: المجتمع والدين:

الدين من العناصر المهمة في حياة الفرد لامتلاكه القواعد الأساسيَّة والمؤثرة في بناء الفرد والمجتمع، فالأخلاق والمعتقدات والقيم فضلًا عن التشريعات الإلهية المقدسة هي التي تسهم مساهمة فعالة في تنظيم حياة المجتمع بالشكل الذي يوائم ما بين رغبة الإنسان وغاية خلقه، فالله تعالى خلق الإنسان وحباه بالعقل إضافة إلى الرغبات والشهوات التي تختلجه، وحتى يسيطر الفرد على نفسه ويتحكم بأفعاله وتحركاته ألزمه تعالى بالالتزام بتشريعاته، فالدين هو الذي يهدي العقول ويطمئن القلوب، فيعمل على تماسك العلاقة بين أفراد المجتمع، وله الدور الكبير في نشر السلام والعدل والمساواة ونبذ الخلافات والتعصب.

إنَّ في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام سننًا أخلاقية سامية تعمل على تثبيت الأمن ونشره في المجتمع، والحفاظ على السلم بين أفراد المجتمع المتنوع، يقول تعالى في محكمه: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾[2]، لهذا الدين أصلاً في الكون والخلقة والواقع الحق،

(١) سورة الذاريات: اية ٥٦.
(٢) سورة الروم: آية ٢٥.

فالإسلام سنة الحياة البشرية والخضوع له هو خضوع وتسليم لإرادة الله التشريعية[١]، ومن أسلم وخضع لدين الله الواجب، عمل على بناء ذاته على وفق العقيدة الحقة، وبناء الذات على وفق ما ذُكر يعني بناء مجتمع كما أراده تعالى أن يكون، فالعلاقة القائمة بين الإنسان وأخيه ومجتمعه ستكون مبنيه على أسس وضعها القرآن الكريم، وهذه الأسس تكون قطعًا هي عناصر لبناء المجتمع المترابط.

إنَّ الله تعالى في موضع آخر يأمر بضرورة تحلّي المسلم بالحوار الحسن والحكمة، وقطعًا هذه وسيلة للإقناع بدين الله أوَّلًا ولحفظ ولم الشمل، وهذه هي مبادئ تكوين المجتمع المتفاهم والمتعلم، فقد قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[٢]، هذه هي الأصول ومنهج المواجهة في الإسلام ضد من لا يعترف به، فالحكمة بمعنى العلم والمنطق والاستدلال، وهذا ما يمنع الإنسان من الوقوع بالفساد والإنحراف، فضلًا عن الموعظة التي تمثل تحريك العاطفة والأحاسيس الإنسانية لتوجيه الناس نحو الحق، ومن ثم الجدال بالأحسن وهو السبيل لقلع الشبهات والأفكار المغلوطة العالقة في الأذهان، هذه الخطوات تحفظ الأبعاد الإنسانية السليمة عند المناظرة[٣]، نجد هنا الإشارة الصريحة التي أشار إليها القرآن الكريم، إذ يتوجب أن يتحلى المجتمع بقيم دينية وإنسانية تحفظ له وجوده وإنسانيته من دون الإساءة له حتى وإن كان مختلفًا في الدين والعقيدة، فالتصور الذي يحمله الإنسان في نفسه وفطرته أراد القرآن الكريم تغيره واستبداله بما يمليه عليه النص القرآني الذي يدعو إلى الألفة والمحبة والتفاهم على وفق المنطق العلمي السليم وطرق الاستدلال المقنعة، فعلى الرغم من الأهمية العظيمة للدين داخل النفوس إلا أن الدعوة لقبول هذا الدين أو المعتقد لا تنسجم مع الطرق

(١) ينظر: الطباطبائي، الميزان، ج٩، ص ٢٤١.
(٢) سورة النحل: اية ١٢٥.
(٣) ينظر: الأمثل، الشيرازي، ج٨، ص ٣٦٩.

الملتوية التي تؤمن بقوة السيف أو الاجبار.

الواضح عبر ما تقدم أنَّ الدين والالتزام به من أولويات الوجود والغاية الإنسانية، فهو من يقي الإنسان من الوقوع بالأخطاء والمعاصي، فأساس نجاح الإنسان يكمن في مدى التزامه وتطبيقه لما أمر الله تعالى، ولابدَّ من القول إنَّ الالتزام بالتشريعات الدينية يسهم ببناء المجتمع وتطور أفراده، لما يمتلكه من عناصر إيجابية قوية ومؤثرة، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾[1]، التحلي بالإيمان الحقيقي من قبل المجتمعات الإنسانية يزيد الخير والبركة والنماء، وهو السلوك الأمثل والمساعد لاستمرار عطاء الله وبركاته عليهم.

إنَّ فهمنا الحقيقي للدين وغايته هو السبيل الأمثل للعيش معًا حياة سعيدة وهانئة يسودها السلم والسلام والأمان، فبالإضافة إلى التطبيقات التشريعية العبادية هنالك تطبيقات أخرى، تتمثل بطبيعة التعامل مع الذات والآخر على وفق القواعد الأخلاقية التي جاء من أجلها الإسلام ورسوله الأكرم الذي جاء ليتمم مكارم الأخلاق، إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**)[2]، وصور الأخلاق كثيرة، منها الصدق والعفو والتواضع والأمانة والرحمة وغيرها الكثير، فالالتزام بالتشريعات العبادية والمسالك الاخلاقية قطعًا ستسهم ببناء مجتمع إنساني متحاب واعٍ ومنظم.

ثانيًا: المجتمع والتربية:

للتربية مكانة مهمة في حياة الفرد والمجتمع؛ لما لها من تأثير مباشر في صلاح المجتمع، فالتربية الصالحة المنبثقة من تعاليم الإسلام يقينًا هي التي تقي من الانحراف والضلال والضياع، فالقرآن الكريم حوى في طياته مبادى التربية الإنسانية التي تسهم

(١) سورة الأعراف: اية ٩٦.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٨، ص ٣٨٢.

ببناء مجتمع وتنظيم حياته بما ينسجم مع الأحكام والتشريعات التي أقرَّها الله تعالى في محكم كتابه، فنجده تعالى يقول: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (*) وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾[١] القرآن هنا يشير إلى أثار التقوى على النفس الإنسانية، وهذا يمثل الجانب العلمي لتربية النفس، فمن يؤمن بالغيب يعني به إيمانه بالعالم الكبير اللامتناه، وهذا يمثل اختلافه عن الحيوانات وعن من يفكر بالماديات فقط، وهو يمثل الخروج عن العالم المحسوس والضيق، فالرؤية الأولى تنشد الحق والعدل والخير ومساعدة الآخرين، والثانية تنحصر بالاستغلال والاستعمار والمحدودية[٢]، فالإنسان المتخلق بروح التعاون والمساعدة لاشك سينتج أسرةً ومجتمعًا متحابًا ومتعاونًا، وهذا ما يريده القرآن الكريم ودل عليه في أغلب آياته التي تحث على التدين والأخلاق والتربية، وهي معايير حقيقية للإنسان المتقي، ثم يحث القرآن الكريم في آيات أُخرى على ضرورة الاعتصام بحبل الله، إذ يقول تعالى: ﴿**واعتَصِموا بحَبْلِ الله جميعًا ولا تَفَرَّقُوا واذكُروا نِعمَةَ الله عليكم إذ كُنتُم أعداءً فألَّفَ بين قُلوبِكُم فأصبَحتُم بنعمَتِهِ إخوانًا**﴾[٣]، وهذه إشارة واضحة للمسلم يتوجب عليه بلزوم الإيمان بتربية ربَّه؛ لأنَّهُ تعالى يملك كل النعم من خير ونفع وغنى وحياة وموت وغيرها، فالواجب عليه أن يعمل الصالح من الأعمال للوصول إلى السعادة الإنسانية، فإنْ وجد مجتمعًا متماسكًا ومتمسك بحبل الله المتين، فهي دلالة واضحة لبناء المجتمع المتدين، والمجتمع المتدين سوف لن نجد فيه خلافات أو اختلافات تؤدي إلى ضياع الإنسان والإنسانية فيه.

إن الدعوة إلى الله والتمسك بشرائعه يمثل احترام كبير للمواثيق الإلهية السمحاء، وهي عوامل مهمة لرعاية حق الإنسان والمجتمع وهي تربية دينية وأخلاقية بناءه، وهذا

(١) سورة البقرة: اية ٣-٤.
(٢) الشيرازي، الأمثل، ج١، ص ٧٦-٧٧.
(٣) سورة ال عمران: آية ١٠٣.

ما ورد أيضًا عند أهل البيت عليهم السلام وهم عدل القرآن الكريم، فنجد الإمام علي عليه السلام يقول: (**فاعتصموا بتقوى الله، فإن لها حبلًا وثيقًا عروتهُ، ومعقلًا منيعًا ذروتهُ، وبادروا الموت وغمرتهِ وامهدوا لهُ قبل حلولهِ**)[1] وهذا كلام واضح يتضمن تصريح ملزم بالاعتصام بالتقوى الإلهية؛ لأنها المنجية من عذاب الله الذي وعد به من خالف أوامره ونواهيه، ومن ثم إشارة في النص تذكر بأنَّ حياة الإنسان مرهونة بعمله بدار الدنيا، فعلى الإنسان قبل المبادرة بأي عملًا عليه أن يستذكر الموت الذي سيحل به عاجلًا أم آجلًا، فالمبادئ التربوية والأخلاقية عند الإمام لا شك أنها منسجمة تمامًا مع ما ورد في النص القرآني، وهي الصالحة فعلا للمجتمع المسلم المتدين.

إنَّ طلب العلم والتفاضل فيه نوع من أنواع التربية، فالمتعلم بعلوم القرآن وعلوم رسوله وآل بيته عليهم السلام أو العلوم الطبيعة الأخرى المفيدة للإنسان لاشك أنَّها الأساس المتين لبناء المجتمع، ومعيار التفاضل في هذا الأمر أشار اليه القرآن الكريم، إذ يقول تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[2]، لا شكَّ ولا ريب في أنَّ لازم رفعه تعالى درجة عبد من عباده على أساس قربه من الله تعالى، فهنالك المؤمن وهنالك المؤمن العالم، فالأخير هو الأعلى درجة من الأول[3]، إن الإشارة القرآنية دالة على ضرورة طلب العلم، وهو جانب مهم بحياة الإنسان بوصفه فردًا أو مجموعات، وهو جزء لا يتجزأ من الدين، فالإنسان المؤمن والمتعلم بتعاليمه تعالى سيكون الأكثر عطاءً والأكثر فائدةً من غيره للمجتمع شريطة أن يستثمر علمه بالشكل الأمثل.

الملاحظ ممَّا تقدم أنَّ التربية وسيلة مهمة من وسائل البناء المجتمعي الحقيقي، وبالذات التربية الصحيحة التي تستند على القرآن الكريم وما ورد عن الرسول الأكرم

(١) نهج البلاغة، ص ٢٨١.
(٢) سورة المجادلة: آية ١١.
(٣) ينظر: الطباطبائي، ج ١٩، ص ١٨٨.

وأهل بيته عليهم السلام، فالفائدة ستعم قطعًا من الإنسان المتعلم أكثر بكثير من الإنسان الجاهل، فالمجتمع الجاهل سيعمد على خرق حدود الله التي وثقها في محكم كتابه، وهذا ما نراه اليوم ببعض المجتمعات الإسلامية التي ابتعدت عن النهج القرآني القويم، فصلاح المجتمع مرهون بصلاح أفراده، وصلاح الأفراد وتربيتهم مرهون بالعلم.

ثالثًا: المجتمع والعمل:

يمثل العمل في الإسلام المحور الأهم الذي يوصل الإنسان إلى غايته وهدفه، ولذا يحثُّ القرآن الكريم عليه ويجعله السلم الذي يرتقي به الإنسان ويميزه عن غيره، فهنالك عمل في الدار الدنيا الخاص باستمرار الحياة ومتطلباتها، وهنالك عمل يسعى الإنسان من ورائه للوصول إلى الكمال وإرضاء خالقه تعالى، فالعبادات مثلًا كُلها قائمة على العمل للوصول إلى ترويض النفس والإيمان بالله تعالى أن طبقت على وفق القواعد الإلهيّة الصحيحة، ولا شكَّ أنَّ أعمالنا كلها تُعرض على الله تعالى ورسوله وأهل بيته عليهم السلام، بدلالة قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾[1]، فالحاجة ماسَّة لإتقان العمل الموكل به الإنسان، وإتقانه يجب أن يتواءم مع شرع الله وهذا لا مناص منه؛ لأنَّ الأعمال تعرض عليه تعالى وعلى صفوته التي اختارهم حجج على أرضه، وفي قول آخر يقول تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾[2]، فالله تعالى هو الذي جعل الأرض مطاوعة منقادة لكم يمكنكم أن تستقروا على ظهورها وتمشوا فيها تأكلون من رزقه الذي قدره لكم بأنواع الطلب والتصرف فيها[3]، نجد أنَّه تعالى هيَّأ أسباب الحياة على الأرض، ليعمل عليها بنو البشر وتنتج لهم ما يرغبون، وهي عمارة الأرض وإنباتها، فما يعمله بنو البشر من عمل

(١) سورة التوبة: اية ١٠٥.
(٢) سورة الملك: اية ١٥.
(٣) الطباطبائي الميزان، ج١٩،ص٣٥٧.

سيكون محط محاسبة يوم الحساب، فالإنسان يحاسب على ما عمل به في حياته الدنيا، وأنَّ الله سبحانه وتعالى قد أشار إلى العمل والعاملين القادرين عليه، فقد قال تعالى: ﴿**عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[١] ففي الآية تقسيم واضح فمن الناس من هم في حالة المرض وهم ليس عليهم حرج، وآخرون يعملون في الأرض يزرعون ليحصدوا من خير الله وفضله، وآخرون يقاتلون.

لقد أعطى الله سبحانه وتعالى للعمل والعامل مكانة مميَّزة، فالإنسان خُلق لأجل العمل في الأرض وعمارتها؛ لغرض كسب لقمة العيش له وسببًا لغيره، والعمل الآخر وهو الأهم التقرب لله سبحانه وتعالى بعباداته من طريق إقامة الفرائض العبادية وهي جزء من وجوده على الأرض، وأيضًا تقديم المشورة والإرشاد والمساعدات المادية والمعنوية للآخرين، وهذا ما أكد عليه رسول الله محمدﷺ من أنَّ الإنسان العامل عليه أن يُحسن عمله؛ إذ قالﷺ: (**إنَّ الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه**)[٢]، فالعمل سواء كان عباديًّا لذات الشخص أو يهم طرفًا آخر، الله ورسوله يوصي بوجوب اتقان هذا العمل وصلاحه، إذ قال تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾[٣]، فالعمل الصالح يحبه الله ورسوله؛ لكونه موافقًا للشرع الإسلامي وهو اللبنة الأساس لبناء حياة سعيدة، وبناء مجتمع صالح متكاتف، وهذا ما نص عليه القران الكريم، إذ قال تعالى: ﴿**مَن عَمِلَ صالِحًا مِن ذَكَرٍ أَو أُنثى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً**﴾[٤].

يُعد العمل الصالح ركيزة أساسية في تنمية الشعوب الإنسانية، لما له من دور في بناء المجتمع ونشر التماسك والترابط الاجتماعي، وهو ممارسة إنسانية ترتبط بمعاني

(١) سورة المزمل: اية ٢٠.
(٢) الهندي، حسام الدين، كنز العمال،ح ٩١٢٨.
(٣) سورة الإنسان: آية ١ – ٣.
(٤) سورة النحل: آية ٧٩.

الخير والنماء عند المجموعات البشرية منذ القدم إلى نهاية العالم، ولذا يبقى الأكثر مقبولية؛ لكونه يصنع مجتمعًا متكاتفًا متفاهمًا مطيعًا للتشريع الإلهي، فالعمل الصالح يدخل في كلِّ الأعمال والممارسات التي يقوم بها الفرد للتقرب من الله تعالى وكل أعمال الخير التي فيها صلاح للإنسانية جمعاء، فهو مصدر لتنمية الطاقات البشرية التي تؤدي إلى تطوير العمل بشكل خاص والمجتمع بشكل عام، وتقوية وتعزيز للعلاقات الاجتماعية فيما بين الأفراد والجماعات بكلِّ أنواعها، فالمجتمع يتطور ويسمو بالعمل الصالح الذي أكد عليه تعالى، فالروابط الاجتماعية تزاد قوة ومنعة كلَّما كان العمل يقع ضمن دائرة الحكم والتشريع الإلهي.

الخاتمة

أوَّلًا: لا شكَّ أنَّ الله تعالى عندما أوجد الخلق ومن ضمن هذا الخلق الإنسان، أراد منه أن يطيعه فيؤتمر بالأوامر وينتهي عن النواهي على وفق التشريع الإسلامي الذي أراده تعالى، لذا وضع جملة من القوانين المنظمة للحياة الإنسانية، فابتدأها بالزواج والأطفال والعلاقة فيما بينهم وشدد على ذلك كثيرا؛ لكون هذه العلاقات هي النواة الأولى لتكوين المجتمع، فإن صلحت العلاقة الأولية الصغيرة ستصلح العلاقة الأكبر؛ لأنَّ البناء الصحيح والمتين يستند على الأساس القوي والمتين، فالاستمرار بعلاقة طيبة وصالحة ومتكافئة لا يكتب لها الوجود من دون التطبيق الفعلي لأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، فالزوج الملتزم دينيًا والزوجة الصالحة الملتزمة بواجباتها تجاه زوجها وبيتها سينعكس دورهما الإيجابي هذا على ابنائهم، من طريق زرع الالتزام الديني والأخلاقي في نفوسهم مما ينشأ أسرة متكاملة، هذه الأسرة الصالحة المتبعة للشروط الواجب توافرها فيها، ستقيم علاقة طيبة مع المحيط الخارجي، فعلاقة الأخوة من العلاقات المقدسة، فلو اقيمت على أساس المودة والمحبة في الله تعالى على وفق المعايير والأفكار والعادات والقيم الصالحة قطعًا ستنتج مجتمعًا متعاونًا متفاهًا قويًا.

ثانيًا: يمتلك الدين القواعد الأكثر تأثيرًا على بني البشر؛ لأنَّه المسهم الفعال في حياة الإنسان، فالأخلاق الرصينة والمعتقدات الحقيقية والقيم الصالحة المستندة على الدين، تعمل بشكل قوي على تثبيت دعائم الأسرة والمجتمع، والمحافظة على السلم المجتمعي من التفكك والضياع والانحلال، ثم يأتي دور التربية الصالحة المبنية على أسس الدين التي تسهم بعدم وقوع الانحراف والضلال الذي أصاب ويصيب المجتمعات التي ابتعدت كثيرا عن التربية الدينية الصالحة، واكتفت فقط على القوانين الوضعية الخاضعة للاجتهاد والتبدل السريع، أمَّا العمل المستند على رضا الله تعالى والسير على النهج الذي اختطه بكتبه المقدسة سيزيد الروابط والعلاقات الاجتماعية والذاتية قوة ومنعة، فالأعمال سواء كانت عبادية أو من أجل كسب العيش إذا كانت ضمن القبول والأحكام الإلهيَّة ستسهم ببناء المجتمع الصالح الذي أراده القرآن الكريم في نصوصه المقدسة.

ثالثًا: إنَّ مظاهر التفكك الأسري المعاصر اليوم، نتيجة حتمية لأسباب كثيرة منها؛ تغيّر النمط المعتاد للأسرة في السابق عن الحالي؛ وأسأبه ذكرناها ومن جملتها الاختيار الخاطئ للشريك، وسوء تعامل الآباء مع الأبناء، والتربية التي تفتقر لمقومات بناء الأسرة الصالحة، التأثر بالنمط الغربي المتسم بسوء الأخلاق والتعرّي، فضلًا عن الحروب والسياسات الاقتصادية الضعيفة وعصر التكنلوجيا ومغرياتها، وهذا الحال لا يُصلح مالم يتمسك الفرد والمجتمع بثوابت الدين الإسلامي وتشريعاته التي تحفظ الإنسان وكيانه، والاقتداء بالقدوة الصالحة الحسنة، هذه القدوة التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيرا، وهم أهل بيت النبوة عليهم السلام.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على شفيعنا وسيدنا ونبينا المصطفى الأمين، وعلى الأئمة الطيبين الطاهرين.

المصادر:

القران الكريم

١. الجلالي، عبد الله الحمد، العلاقات الاجتماعية في القرآن، دار السلام للنشر والتوزيع، ط١، الرياض، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥.

٢. الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل،ترجمة: محمد علي آذر شب،مدرسة الامام علي بن أبي طالب- إيران، ١٤٢٦هـ.

٣. الصدر، محمد باقر،الأسرة في الإسلام، دار البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠مـ.

٤. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القران، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٧.

٥. الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن،مؤسسة ال البيت لأحياء التراث،قم – ايران،ط١، ١٤٣١هـ.

٦. عُكاشة، رائد جميل، وآخرون، الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المُعاصرة، دار الفتح للدراسات والنشر، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي – الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥.

٧. الكليني، محمد بن يعقوب،أصول الكافي، تحقيق: محمد جواد مغنية، دار الأضواء بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢.

٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، ١٩٨٣.

٩. نصيرات، رائدة خالد، وآخرون، المضامين التربوية لأحكام الحضانة في الفقه الإسلامي وقانون الأحوال الشخصية الأردني، دراسات: علوم الشريعة والقانون، ٢٠١٩.

١٠. نهج البلاغة، مختار من كلام علي بن أبي طالب عليه السلام جمعه الشريف الرضي: مراجعة:صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت و ط٤، ٢٠٠٤.

١١. الهندي، علاء الدين علي المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: صفوت السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٩٨٩.